

إذا كان زيني حريصا على النجاح في مهمته

الزمن تجاوز ما يدعى تفاهات تينيت وما يدعى توصيات ميتشيل. ومن واجب الجنرال أنتوني زيني أن يعرف ذلك إذا كان مصمما على المثابرة في مهمته. إن تسعة عشر شهرا من الحرب التي شنها باراك ثم شارون على الفلسطينيين داخل المناطق الفلسطينية، أوجدت مناخا مختلفا عن المناخ الذي وضعت فيه تلك التفاهات والتوصيات. فهل يخفف زيني من تحامله على الفلسطينيين الذي تحدثت عنه صحف أمريكا، وهل يوسع أفقه السياسي نوعا بحيث يفهم الأمور بأبعادها الحقيقية ولا يرفع صوته قائلا - كما ذكرت الأنباء في الأيام الثلاثة الماضية - إنه معنى بوقف إطلاق النار لا غير وإنه غير معنى بالجانب السياسي؟

وزيني يعرف جيدا أن وقف إطلاق النار قرار سياسي في المقام الأول، وأن النواحي الإجرائية التي يظن زيني أنها شغله الوحيد لا تمثل غير نسبة ١% من موضوع وقف إطلاق النار.

لكننا نفهم من مجرد ملاحظة الطريقة التي يصافح بها زيني آرينيل شارون أنه يعد كلام شارون تنزيلا من التنزيل، سواء تكلم في الإجراءات أو تكلم في السياسة. ونفهم من التجهم الذي يخيم على صور اجتماعات زيني مع القيادة الفلسطينية أن الجنرال يعاني من عسر الهضم وعسر الفهم وانسداد الآذان.

ولا يبدو أن زيني يستذكر أن الرئيس ياسر عرفات طالب العالم والأمم المتحدة بإرسال قوات دولية لحماية الفلسطينيين، أي طالب بوقف إطلاق النار، منذ الشهور الأولى التي قام فيها إيهود باراك بتفجير الوضع بالاتفاق مع شارون. وأن مندوب الولايات المتحدة أجهض المحاولات المبكرة لوقف النار حين استخدم الفيتو الأمريكي لشل قدرة مجلس الأمن على وقف النار. وأنذاك تلخص الموقف على الأرض في أن الفلسطينيين الذين أثارتهم مدهمة شارون للمسجد الأقصى وإطلاق النار على المصلين قاموا بمظاهرات انفعالية قذفوا خلالها بحجارة على سيارات مصفحة للاحتلال، فأطلق عليهم جيش الاحتلال النار من كل سلاح ومن كل عيار، وهكذا تطورت المقاومة وأصبح إطلاق النار محتوما من قبل الفلسطينيين، مثل ذلك مثل يد الإنسان حين تمتد حتما في حركة معاكسة لحركة جسم غريب متحرك نحو عين الإنسان أو صدر الإنسان أو قلب الإنسان. ولا يمكن منع اليد المدافعة إلا إذا تغيرت الطبيعة الإنسانية بل وفطرة الكائنات الحية.

أنت يا زيني جئت بعد أن تبين لشارون أن حساباته لم تنجح، وأنت منفعل كثيرا من عمليات تفجير الذات التي يقوم بها فلسطينيون في بعض المدن. فهل قرأت تقارير جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلي التي ذكرت أن بعض منفذي هذه العمليات فجعوا من قبل بمقتل أقارب لهم بنيران جيش الاحتلال وأنهم يحاولون الاقتصاص من قتلة أولئك الأقارب؟ وهل لاحظت، وأنت الرجل العسكري، أن جيش الاحتلال استخدم صنوفا من الأسلحة الثقيلة والمحرمة دوليا؟

عليك أن تستوعب أن قرارات إطلاق النار من تلك الأسلحة، بتلك الكثافة، كانت قرارات سياسية إسرائيلية مبادنة ومفاجئة مائة بالمائة، وأنها غيرت الوضع كاملا بعد أن زال أثر الصدمة الأولى عن الفلسطينيين منذ ذلك الحين. فقد نزلت إلى ساحة المقاومة والرد قوى لم

تكن الفرصة متاحة لها من قبل لمجرد الكلام، فإذا بالمقاومة تدعوها وتضعها في موضع المشاركة مع الآخرين في القيام بالاستنفارات وأعمال التصدي واختصارا زمالة النضال ورفقة الخندق.

أما أنتم الأمريكيين فقد قام رئيسكم بالتنسيق مع شارون، بإعارة الفلسطينيين والعرب كلهم أذنا صماء، على أساس أن شارون تعهد أثناء زيارته الأولى بإنهاء كل شيء خلال مائة يوم. وكان صممكم كما كان استخدامكم الفيتو بمثابة إذن قلبي لشارون أن يضرب الفلسطينيين حتى يأتوه متوسلين تحت أقدامه في طلب الرحمة. وها أنت تأتي اليوم بعدما عجز شارون بوسائله الخسيسة والوحشية كلها عن قهر الفلسطينيين، لتطلب منهم طبقا للكتاب المنزل الذي وضعه تينيت أن يعتقلوا شبانهم الأكثر شعبية لدى الجمهور بحكم كونهم الأكثر مروءة ونجدة ونبلا، وأن يجمعوا لك أسلحتهم البسيطة التي لم تعملوا أنتم الأمريكيين شيئا حين أذفت الأزفة من أجل إشعارهم بعدم لزومها لهم في حوزتهم.

وكل ما أنتم بارعون فيه هو مراودة الإسرائيليين حول أنواع الضغوط على ياسر عرفات وتقاسم الأدوار بينكم وبين الإسرائيليين، بل وبعض العرب الذين جندتموهم، للضغط على عرفات كأنما عرفات جهاز كمبيوتر، يتم الضغط على أزراره فتتحقق رغباتكم على جميع الجبهات وفي جميع الميادين.

كان هذا غباء بشعا. فقد قادكم شارون نحو مواقف جعلتكم أضحوكة ومسخرة للأوروبيين الذين سايروكم في البداية في لعبة ممارسة الضغط على عرفات ثم فهموا بمرور الوقت أنكم فاقدو الاتزان تماما. ولهذا تحولوا عنكم واتخذوا مواقف جديدة بعض الشيء وإن كنا نعرف أنهم يعيشون تحت سقف تفكيركم دائما.

لماذا يا زيني لا ينسحب الإسرائيليون فورا ومباشرة إلى خطوط ما قبل قيام حكومة باراك بتفجير الوضع؟ أعتقد أن هذه هي الخطوة الأولى التي يمكن أن تسحب من الوضع صاعق التفجير وتتيح لمهمتك نسبة من احتمالات النجاح.

أم أنك ما زلت ترى شارون أباحنونا كما سبق أن ثرثرت في جلساتك في المحافل الصهيونية؟! وأنت تعتقد أن نقل الرسائل الساخنة من الطرف الإسرائيلي إلى الفلسطينيين، والدفاع عن فحواها، هو كل ما فتح الله عليك به في صدد مهمتك الخطيرة!؟

تكذيب الحقيقة في عينها:

بالتوازي مع الحملات العسكرية المدججة بأسلحة البر والبحر والجو، تدير القوى الصهيونية في العالم حربا دعائية لا تتوقف ضد الفلسطينيين والعرب والمسلمين. ومؤخرا استكثروا على الفلسطينيين تعاطف العالم معهم بعد الصور التي تظهر آلة الحرب الهائلة التي دفعها الجنرال شارون إلى قلب المدن الصغيرة والقرى والمخيمات الرثة لتقوم بتجريف الأرض وخرق البيوت وتقويض الجدران. فأعلنت إسرائيل على رؤوس الأشهاد أنها أبرقت بالتعليمات إلى بعثاتها الدبلوماسية ومراكز دعاياتها كي تشرع بحملة جديدة للافتراء على الفلسطينيين والقيام بهجوم مضاد وحرب ضروس على الحقيقة البسيطة الناطقة. وهم يأملون أن تطغى أصباغ الكذب والافتراء على تلك الحقيقة المجردة.

وتوالت الافتراءات تباعا. وطالعتنا وسائل الإعلام الإسرائيلية خلال الأسبوع الماضي بنبا

عن مقال نشرته صحافية ألمانية تدعى استير شابييرا تقول فيه إن تقارير جديدة قد أظهرت أن الطفل الفلسطيني الشهيد محمد الدرة قتل برصاص الفلسطينيين لا الإسرائيليين! وأن القوات الإسرائيلية كانت قد أزاحت في حينه الحجر الذي كمن وراءه الطفل، وإلا لأمكنك البرهنة على هذه النظرية، وأكثر من ذلك قالت (الجبيرت) شابييرا فض فوها إن الفلسطينيين كانوا قد جاءوا بالدرة ووضعوه في ذلك المكان خصيصا لكي يجعلوا مما جرى له مادة للدعاية!

هذه عينة من الافتراء الوقح والاختلاق العجيب الغريب الذي لا تتجاسر على فبركة مثله إلا الدعاية الصهيونية. وقد نشرته في ألمانيا بواسطة قلم إحدى بنات صهيون هناك.

أما في أمريكا فيكتب توماس فريدمان في النيويورك تايمز مقالا بعنوان (اجلس لأحدثك)، يستعرض فيه حله المقترح لصراع الفلسطينيين مع الإسرائيليين، على أساس جلب قوات أمريكية لحماية الإسرائيليين من بطش الفلسطينيين. لأنه لا يمكن الوثوق بالفلسطينيين إذا استلموا مناطقهم ليديروها بأنفسهم حسب قوله.

وينزل إلى ساحة المعركة ضدنا مارتن إنديك، الصهيوني المدعم المدفوع إلى المناصب العليا في الولايات المتحدة والسفير الأمريكي السابق في إسرائيل، الذي ضبطه مكتب الأمن الخاص بوزارة الخارجية الأمريكية قبل حوالي عامين يصور وثائق في الوزارة ممنوعة على التصوير، وجرى التحقيق معه، ثم سرعان ما أغلق ملف القضية على نحو غامض، وهذا امتياز لا يناله هناك إلا الأمريكيون - الإسرائيليون دون سائر الناس.

ما علينا؟! المهم أن إنديك هرع بدوره إلى المعركة الدعائية ضد الفلسطينيين فكتب مقالا بعنوان " الوجوه الثلاثة لشارون - الرجل الوحيد ". يتفلسف فيه تفلسفا زنخا، مقصده في الخلاصة أن يصور مجرم الحرب الذي بدأ العالم يتحدث عن إجرامه المشهود رجلا حائرا حيرة بطل إغريقي، بين كونه جنرالا ورجل سياسة ورجل دولة في الوقت نفسه. يا حرام.. كيف يمكن ألا نفهم أنه يفعل ما يفعل بسبب ثراء شخصيته..؟

وأصارع القارئ أنني شرعت في قراءة مقال إنديك إلى أن وصلت إلى عبارة في الصفحة الأولى منه تقول: " أما شارون الجنرال فشخصية معروفة. إنه الإسرائيلي الذي حارب الإرهاب منذ بلغ الحلم. " وهنا قررت ألا أقرأ المقال، مكتفيا بالمرور ببصري فوق بقيته، لأن الأمور باتت واضحة بما فيه الكفاية. فما دام شارون قد حارب الإرهاب منذ بلغ الحلم فهو ليس ثري الشخصية وحسب وإنما هو المثال الذي يجب أن يتربع على عرش القلوب في أمريكا.. والبطل الذي يخلص العالم من الإرهاب.. وبالمناسبة يقرر إنديك أن الفلسطينيين هم الإرهاب. وتأتي هذه المقولة (بالمناسبة) لأنها بديهية لا تحتاج إلى توقف عندها! فالدعاية الصهيونية هي من الوقاحة بحيث تكذب في البديهيات وليس في التفاصيل فقط. وإنديك فأر كتب يعرف تاريخ القضية جيدا ولكنه يقلب الحقيقة رأسا على عقب، لأن اللوبي الصهيوني الأمريكي جهزه لهذا الدور أصلا.

ماتم الدبابة ها ميركافا:

إلى القارئ العزيز نقل لما قالته الشخصيات العسكرية الكبيرة في إسرائيل حول السابقة الخطيرة التي سجلها المقاومون الفلسطينيون بنسفهم الدبابة الإسرائيلية الأكثر تحصينا في العالم، والتي فسخت سبع دول

حتى الآن عقود شرائها من إسرائيل، وبينها الصين والهند وتركيا:

الجنرال طال (الذي يمكن أن ندعوه أب المدرعات الإسرائيلية الحديثة، والذي هو قائد سلاح المدرعات السابق، والذي قاد المدرعات الإسرائيلية في حرب حزيران عام ١٩٦٧، والذي هو المستشار الفني بصناعة الدبابة ها ميركافا قال:

"يجدر بنا أن نسمي الأشياء بأسمائها. لقد خسرتنا المعركة في مواجهة المقاومة الفلسطينية. فإصرارهم على محاربتنا جعلهم لا يعجزون عن أي إبداع. وإنجازتنا في مجال التحصين مجرد محاولات بائسة للهروب من المستقبل الذي ينتظرنا".

و عيزر فايتسمان رئيس الدولة الأسبق والذي شغل العديد من المناصب، وكان قائد سلاح الجو الإسرائيلي أثناء حرب ١٩٧٣ قال:

"تدمير الدبابة على يد مقاومين فلسطينيين ذوي قدرات متواضعة أمر لا يمكن تحمله"

وروني دانيل المعلق العسكري للقناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي قال:

"ما حدث فضيحة. نعم إنها فضيحة بكل ما تعني هذه الكلمة القاسية. فهذا يشكل إهانة غير مسبوقة. وهذا لم يحدث لنا طوال معاركنا مع العرب. ويجب على قادة المنطقة الجنوبية بالجيش أن يخلو مقاعدهم وأن يعودوا للبيت."

و رون بن يشاي المعلق العسكري للقناة الأولى قال:

"يجب أن نقول الحقائق كما هي. هناك حرب أدمغة بيننا وبين الفلسطينيين. وبالنسبة لي وبالنسبة لعدد كبير من المعلقين العسكريين فإن الفلسطينيين قد حسموا هذه الحرب لصالحهم. فأين ذهب خبراء هيئة الصناعات العسكرية الإسرائيلية؟ ألم يعوا حتى الآن كيف بالإمكان وقف هذه المهزلة. يجب منع الفلسطينيين من اصطيد دبابتنا التي تسقط كالذباب".

وضابط كبير لم تفصح صحيفة يديعوت أحرونوت عن اسمه قال: "الحقيقة أننا مصابون بالمفاجأة والدهشة من نجاحات الفلسطينيين في العمليات الأخيرة. وكنا قد قدرنا أنهم سيتعلمون من التجربة ويتطورون لكننا لم نتوقع أن يكون تقدمهم بهذه السرعة وبهذا المستوى... لقد كنا نتعرض لعملية كبيرة في لبنان مرة كل أسبوع أو عدة أسابيع أما لدى الفلسطينيين فالوضع أصعب".

بريد مفتوح إلى طرف المرسل إليه:

الأخ عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية: يخطر بالبال أن الاجتماع القادم للقمة في بيروت سيكون بالنسبة إليك محطة هامة للغاية، ووقفه تقرر بعدها نوع النشاط الذي يستأهل التركيز عليه في إطار جامعة الدول العربية. ولست متفائلا بأنك ستقرر الاستمرار في التركيز على ما يختص بالقمم!

الزميل النائب جورج جالاوي بالبرلمان البريطاني: نحن نحبك. وأعجبنا بصورة خاصة العبارة التي وصفت بها انقياد رئيس وزراء بريطانيا توني بليير وراء سيده الأمريكي والتي قلت فيها: "الكلب هو الذي يحرك الذئب، وليس الذئب هو الذي يحرك الكلب"! أتعرف لماذا أعجبنا؟ لأننا بحاجة لاستخدام هذه العبارة يوميا، تعليقا على بعض الأذئاب حولنا، الذين

يريدون أن يوهمونا أنهم يحركون الكلب!!

سائقى السيارات (الخصوصية والعمومية) فى مدننا الفلسطينية: إذا كان رجال المرور يراعون الظروف ولا يسجلون المخالفات المرتكبة، فليس مقبولا أن يوقف كل سائق سيارته كما يحلو له، على جانبي الشارع. ومن دلائل التخلف أن يتصرف الإنسان عندما يخشى الغرامة على نحو مختلف عن تصرفه حين يخافها ويحسب حسابها.

أمية جحا فنانة الكاريكاتير: كانت جميلة فكرة الكاريكاتير الذي رسمت فيه (ديك) تشيني وهو يحتضن الدجاجة شارون. ولكنني لو كنت مستشارك لأشرت عليك أن تجعلى اللوحة لوحتين: الأولى يظهر فيها تشيني ديكا وسط دجاجات عربية، والثانية يظهر فيها دجاجة بجوار الديك الصهيوني. فهذا هو واقع الحال!.

بعض وسائل الإعلام العربية: عندما يراكم الناس تستضيفون شخصية من نوع جون جارنج ليتكلم عن (وجهات نظره) في السياسات السودانية، وهو العميل المعروف منذ بداية حركته، فإنهم يتشككون في أمركم وأنتم ويتساءلون عما إذا كنتم تقيمون لأنفسكم رصيذا من الصدقية لكي تدسوا على الرأي العام دسائس كبرى فيما بعد. وما يقال عن جارنج يقال عن غيره ممن يجري تلميعهم دون رصيد مفهوم يبرر هذا التلميع. أم أن المبرر هو الجرائم التي ارتكبوها بحق أوطانهم!؟

الشاب محمد تنيرة ابن المجدل اللامع الذي كسب المليون: تبرعك بمقدار خُمس جائزتك لتعليم عشرين طفلا من قطاع غزة يعني أن وفاءك وأصالتك لا يقلان عن ذكائك وألمعيتك فألف مبروك. ونحن فخورون بك.

كوفى عنان الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة: نحن لا نقول إن المحققين الأمريكيين الخاصين اللذين رفضا مزاعم الحكومة الأمريكية حول اتهام شباب عرب بأحداث سبتمبر بنويويورك على صواب حتما، فنظريتهما قد تكون صحيحة وقد لا تكون. ولكن أقوالهما تستند على منطق علمي معين، وهما بحاجة إلى حماية ودعم ليستمر في عملهما الهام. والأمم المتحدة هي الجهة الوحيدة القادرة على إسباغ حمايتها الأدبية عليهما لأن كشف الحقيقة الواضحة له تأثيره العميق في العلاقات الدولية. ألا ترى ذلك؟

شيمون بيريس وزير الخارجية الإسرائيلية: لدينا حديث نبوي شريف يقول: " اطلبوا العلم ولو في الصين ". أما أنت فلم تذهب طلبا للعلم. ويخطر بالبال أنك ذهبت تحرض على المسلمين في الصين كما فعلت سابقا في الهند. هل نستطيع أن نتخيل لك مهمة أخرى!؟